تفسير إبن كثير

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

(ما قلت لهم إلا ما أمرتني به)بإبلاغه (أن اعبدوا االله ربي وربكم) أي : ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه : (أن اعبدوا االله ربي وربكم) أي : هذا هو الذي قلت لهم (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) أي : كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد)قال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة قال : انطلقت أنا وسفيان الثوري إلى المغيرة بن النعمان فأملاه على سفيان وأنا معه ، فلما قام انتسخت من سفيان ، فحدثنا قال : سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال : قام فينا رسول االله - صلى االله عليه وسلم - بموعظة ، فقال : " يا أيها الناس ، إنكم محشورون إلى االله ، عز وجل ، حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده ، وإن أول الخلائق يكسى إبراهيم ، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : أصحابي . فيقال : إنك لا تدري ما

أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فيقال : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم " .ورواه البخاري عند هذه الآية عن الوليد ، عن أبي شعبة - وعن محمد بن كثير ، عن سفيان الثوري ، كلاهما عن المغيرة بن النعمان ، به .